The Prophetic praise In Kuwait Until the late twentieth century

Lecturer. Dr. Alaa Abdel-Wahab Abdel-Razzaq
University of Kirkuk
College of Arts
The department of Arabic language
E-mail : Allaalwahed5@gmail.com

Abstract:

This research is an attempt to monitor the art of prophetic praise in Kuwait. In its methodology it relied on presenting the praise poems of the Prophet in this country and introducing its poets, then explaining its characteristics, studying its artistic and aesthetic aspects, and what is renewal and tradition in it, with a view based on the beauty of Arabic rhetoric and its well-known grammar.

key Words: Prophetic praise, Praise poems, The Praises, Praise poets, Kuwait, The Badiats, Poets of Kuwait, Poetry, tradition, Renewal, Workmanship, affectation.

المدائح النبوية في الكويت
حتى أواخر القرن العشرين

م.د. علاء عبد الوهاب عبد الرزاق
جامعة كركوك
كلية الآداب/ قسم اللغة العربية
E-mail : Allaalwahed5@gmail.com

الملخص :

هذا البحث محاولة لرصد فن المديح النبوي في الكويت،اعتمدت في منهجه على عرض قصائد المديح النبوي في هذا البلد والتعريف بشعرائها، ثم بيان خصائصه، ودراسة جوانبه الفنية والجمالية، وماهو التجديد والتقليد فيه، بنظرة مستندة على جمال البلاغة العربية وقواعدها المعروفة.

الكلمات المفتاحية: المديح النبوي، قصائد المديح، المدائح، شعراء المديح، الكويت، البديعيات، شعراء الكويت، الشعر، التقليد، التجديد، الصنعة، التكلف.

المقدمة :

الحمد لله الذي امتدح نبيه في كتابه المجيد، وجعله علامة وسمة للشعراء ممن هام بخصال نبيه السعيد، رجاء الوصول الى الشفاعة والورد المورود،وبعد:

مما لا شك فيه أن المديح من أغراض الشعرالعربي الرئيسة ولا يزال ، ولن نخطئ اذا قلنا أنه أوسع أبواب الشعر قديماً وحديثاً، وقد ظهر في هذا الغرض الشعري فنٌ خاصٌ ابتدأ بمبعث النبي الكريم صلى الله عليه وسلم، وايمان الناس به ـ ومنهم الشعراء ـ ألا وهو فن المديح النبوي وبقي وتطور حتى بعد وفاته صلى الله عليه وسلم.

وكان لهذا الفن غايات ومميزات خاصة ، تمحور حولها، تميزه عن غرض المديح في الشعر العربي، ظلت معه ووصم بها، ولم يخلو الشعر العربي الحديث والمعاصر من هذا اللون الشعري، بل وجد فيه وانتشر ، ومن بين البلدان التي ساهم شعراؤها فيه الكويت.

وهذا البحث محاولة لبيان كنه المديح بشكل عام، ووجوده في الشعر العربي وتطوره، وصولاً إلى تمايز فن المديح النبوي عنه، ثم بيان دوافع وغايات فن المديح النبوي التي ميزَته عن المديح في الشعر العربي، ثم يعكف البحث على رصد فن المديح في الكويت ويفصل البيان في فن المديح النبوي في هذا البلد.

وقد اعتمد في منهجه على عرض لقصائد المديح النبوي في الكويت وشعرائه، ثم دراسة الخصائص الفنية والجمالية لهذا الشعر المنتج حديثا، وما هو التجديد والتقليد فيه، بنظرة مستندة على جمال البلاغة العربية وقواعدها المعروفة، ليخلص إلى نتائج أهمها أن قصائد المديح في الكويت على الرغم من تقليدها ـ بصفة عامة ـ لقصائد المديح النبوي المعروفة في الشعر العربي بشكلها وأركانها، حاولت أن تخرج عن هذا الشكل لفظاً أو مضموناً، كما أنها عالجت موضوعات أخرى لم تشهدها قصائد المديح فيما سبقها، مثل الموضوعات الاجتماعية، والسياسية، والفكرية، ولم تنحصر في ذكر الصفات الخلقية والخُلقية، مع عدم تضمنها لفنون علم البديع في البلاغة العربية، التي كانت ركناً من أركان قصائد المديح النبوي.

ويبقى الحكم على التقليد والتجديد في قصيدة المديح النبوي الكويتية مرهوناً بالعناصر الفنية الموجودة في استعمالات الشعراء في قصائدهم، وفق الذوق الجمالي للصورة الفنية البيانية، المستند على قواعد علم البلاغة المعروفة.

واستطاع الباحث الخروج بعد تمام البحث بنتائج تخدم هذه الدراسة ومثيلاتها، كما تفيد الدارس والقارئ والمهتم بهذا الموضوع الادبي الجميل المرتبط بأعظم شخصية عند المسلمين نبينا محمد الامين صلى الله عليه وسلم.

المديح في الشعر العربي والمديح النبوي

المدح في اللغة: ضد الهجاء وهو حسن الثناء ، والمدائح جمع المديح من الشعر الذي مدح به[١] وهو غرض رئيس من اغراض الشعر العربي فلا تكاد تجد شاعراً من شعراء العربية منذ العصر الجاهلي الى يومنا هذا لم يكتب في غرض المدح بل قد يكون باب المدح هو الباب الاكبر في قصائد ذلك الشاعر او ديوانه ، يقول الدكتور عبد الجبار محمد حسين في كلامه عن تقنين فن المديح عند قدامة بن جعفر(فان فن المديح بعده ظل يشغل حيزا كبيرا في ديوان الشعر العربي على مدى عصوره الادبية)[٢]. وربما كانت طبيعة الشعر العربي الوصفية اوالغنائية سبباً مهماً (لبروز هذا الفن او طغيانه على بقية فنون الشعر)[٣].

كما أن هناك أسباباً مختلفة تدفع الشاعر إلى المدح، فممدوح الشاعر إما أن يكون شخصاً أو مجموعةً فاذا كان شخصاً كمديح الفارس الشجاع او الرجل الكريم او الحاكم العادل المنصور فان سبب المدح يكون لإعجاب الشاعر بممدوحه أو رد فضل يد له عليه كمدائح المتنبي في سيف الدولة الحمداني، أو ربما يكون للتكسب والعطاء كمديح الفرزدق والاخطل في عصر الدولة الأموية، واذا كان الممدوح مجموعة كالقبيلة مثلاً في شعر الجاهلية والاسلام فإن الدافع يكون للفخر والزهو بشرف ورفعة من ينتمي اليهم الشاعر بنسبة الدم او الولاء وقد يكون للحماسة ورفع الهمة بذكر الامجاد والمزايا كما يفعل اغلب الشعراء مع قبائلهم التي ينتسبون إليها، إذ لاغرو في ذلك فالشاعر كان يمثل الجناح السياسي للقبيلة واللسان المدافع عنها بجانب سيفها المقاتل وقد اشتهر قديما احتفال القبيلة التي يولد فيها شاعر .

ومع مجيء الاسلام وبعثة النبي محمد عليه الصلاة والسلام ظهر من فن المديح هذا لون جديد اختص بمدح شخص واحد وجعله قضيةً مركزيةً محوريةً تدور حولها بقية القضايا، عرف فيما بعد بفن المديح النبوي. وكان لهاذا الفرع الجديد من فن المديح دوافع وغايات ومزايا تختلف عما كان يعرفه فن المديح من قبل بل ظلت هذه الدوافع والمزايا خاصة بهذا اللون من المديح في العصور التي تلت العصر الاسلامي الى يومنا هذا. ولا يستطيع باحث في هذا المجال ان يهمل هذه الاختلافات التي جعلت من المديح النبوي فرعاً خاصاً من المديح في الشعر العربي لايمكن مزجه فيه ولا فصله عنه ولذلك سنحاول على عجالة تسليط الضوء على هذه الفروقات كمدخل مهم في الموضوع الاساس لهذا البحث .

الدوافع والغايات :

١. الدافع الديني الذي يملي على صاحبه الذود عن الاسلام ورسوله صلى الله عليه وسلم فقد حاول اعدائه النيل منه وتقليل شأنه حتى دافع الله عنه بقوله جل وعلى "إن شانئك هو الابتر"[٤]. وهذا مثل فعل حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وغيرها من شعراء الصحابة (رض)[٥].

٢. استعمال المدائح النبوية لتعريف بمبادئ الدين الحنيف وذلك بتضمينها العقائد والشرائع ودعوة الناس اليها .

٣. استجابةً لطلب النبي صلى الله عليه وسلم الذي حض شعراء المسلمين في بداية الدعوة الاسلامية على الذود عن الاسلام ونبيه فقد كان يقول لحسان بن ثابت رضي الله عنه:

(اهجهم . او هاجمهم . وجبريل معك)[٦] فانتفض الشعراء لذلك وقد تضمنت هذه القصائد مدحاً كبيراً للنبي صلى الله عليه وسلم .

٤ .اظهار الشاعر لإسلامه واعلان توبته مثل ما فعل مالك بن عوف حين وفد على النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة فقال مادحاً :

مـــا إن رأيت ولا سمعت بمثله	في الناس كلهم بمثل محمد
اوفى واعطى للجزيل اذا اجتوى	ومتى تشأ يخبرك عما في غد
وإذا الكـــتيبة عردت انيابها	بالسمهري وضرب كل منهد
فكأنه ليـــث علـــى اشـــباله	وسط الهباءة خادر في مرصد[٧]

واستمر هذا الدفاع او الهدف لنظم قصائد المديح النبوي حتى في العصور التالية كالعصر الاموي والعباسي كما حصل في قصة نظم بردة الصرصري او البوصيري وغيريها في إعلان التوبة والتبرء من المعاصي.[٨]

٥. اتخاذ المدائح وسيلة للنجدة مثل فعل ضرار بن الخطاب يوم استنجد بالنبي صلى الله عليه وسلم في الفتح، عندما هدد سعد بن عبادة اهل مكة بقوله: اليوم تستحل الحرم ،فقال ضرار مادحاً و مستجيراً النبي بقصيدة منها :

يا نبي الهدى اليك لجاجي	قريش وانت خير لجاء [٩]

٦. التصوف الذي نشأ بعد صدر الاسلام الاول وجعل قضيته الاساس التغني بالمعشوق والمحبوب والهيام به، وهذا المحبوب المهام به عندهم هو النبي صلى الله عليه وسلم .يصف الدكتور زكي مبارك المدائح

النبوية بأنها من (فنون الشعر العربي التي اذاعها التصوف فهي لون من التعبير عن العواطف الدينية، وباب من ابواب الادب الرفيع، لأنها لا تصدر إلا عن قلوب مفعمة بالصدق والاخلاص)[١٠].

٧. الصبغة في العصور المتأخرة إذ كانت دافعاً آخراً للشاعر الذي كان عليه أن يقوم بنظم قصائد في عدد من الموضوعات محاكاة وتقليداً للشعراء السابقين أو المعاصرين ومن ذلك قصيدة طويلة لها سمات واركان خاصة عرفت في الأدب العربي فيما بعد بالبديعات كان فارسها الأول صفي الدين الحلي (ت ٧٥٠هـ) الذي سار على خطى البوصيري في البردة واختص لنفسه منهجا جديدا في إضافة موضوعات علم البديع الى أبيات قصيدة المدح (فجمع ١٤٠ نوعا في بديعيته في مدح الرسول التي سماها الكافية البديعية وشرحها بنفسه ثم حذا الناس حذوه ونظموا كثيرا من البديعيات)[١١] وذلك كما فعل ابن نباتة المصري (ت٧٦٨هـ) وابن جابر الاندلسي (ت٧٨٠هـ)،وابن حجة الحموي (ت٨٣٧هـ)، وشهاب الدين الأبهيشي (ت٨٥٠هـ)وآخرين[١٢]. محاكاةً وتقليداً لبديعية صفي الدين الحلي، وبردة البوصيري (ت ٦٩٦هـ).[١٣]

٨. وفي العصر الحديث والمعاصر طرأ امر يدرج في قائمة الدوافع والغايات الجديدة وهو احياء ذكرى المولد النبوي واعداد المدائح النبوية له، وكذلك المسابقات الشعرية التي يدور موضوعها حول المدائح النبوية والقصائد التي تعد لها بوجه خاص.

سمات المدائح النبوية:

١. امتداد المدائح النبوية على رقعة زمنية طويلة؛ من زمن النبي صلى الله عليه وسلم إلى يومنا الحاضر، في حين بقي المديح بصفة عامة لشخص او قبيلة لمدة زمنية محددة .

٢. انتهاء المدح بعد موت الممدوح أو المادح، واستمراره في المدائح النبوية بعد التحاق الرسول صلى الله عليه وسلم بالرفيق الاعلى أو موت الشعراءالمادحين .

٣. مرور المدائح النبوية بعصور الشعر المختلفة التي شهدت تغيرات كبيرة في الشكل والمضمون وانعكاس ذلك كله على قصيدة المدح، فمن الطبع إلى الصنعة ومن الإبداع والتجديد إلى الركود والجمود ومن القصيدة العمودية الى القصيدة الحرة وقصيدة النثر وغيرها.

٤. إذا كان المدح يركز على الممدوح في شمائله بعد بلوغه واشتهاره، فقد واكب المديح النبوي مراحل حياة النبي صلى الله عليه وسلم من الولادة الى آثاره بعد وفاته صلى الله عليه وسلم .

٥. اشتمال المدائح النبوية على موضوعات لم يتصف بها الممدوحين غير النبي صلى الله عليه وسلم مثل النبوة والرسالة والوحي والمعجزات وغيرها.

٦. محاولة المدائح النبوية محاكاة المدح القرآني للنبي صلى الله عليه وسلم في آياته من مثل قوله تعالى ((وانك لعلى خلق عظيم)) [١٤]، وقوله جلّ شأنه ((محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم))[١٥] وغيرها من الآيات، وذلك بالاقتباس والتضمين والاستشهاد وغيرها من الاساليب الشعرية والبلاغية.

٧. اتخاذ المدائح النبوية في مسيرتها مع العصور المتعاقبة قابلاً محدداً من الصفات عاشت عليه زمناً طويلاً ربما بقيت آثاره الى وقتنا المعاصر. كما حصل مع الفن المعروف في المديح النبوي بالبديعات التي اشار بعض النقاد والدارسين الى ان لها اركان اربعة هي: البحر البسيط، وقافية الميم، وتضمين المحسنات اللفظية والمعنوية المعروفة في البلاغة، وطول تلك القصيدة التي تتجاوز المائة بيت[١٦]، ولعل ذلك كان محاكاة لقصيدة البوصري التي احتوت بعض هذه المزايا كما فعل الشاعر صفي الدين الحلي ومن جاء بعده ممن سبق ذكرهم في هذا البحث ونجد اصداء ذلك في عصرنا الحديث أيضاً، مثل قصيدة أمير الشعراء احمد شوقي التي اسماها نهج البردة التي يقول فيها :

ريم على ألبان بين القاع والعلم أحل سفك دمي في الأشهر الحرم[١٧]

والشيخ عبد الكريم المدرس في قصيدته الموسومة الوردة العنبرية في سيرة حضرة خير البرية وجعلها فيما يقارب الألف بيت لكنها من الرجز على غرار الألفيات العلمية المعروفة وهو يقول في بدايتها:

نظمتها لهذي الأجيال مقتديا بصاحب البردة المعروف كالعلم

قلادة من جياد الدر مقتدياً على الصدور شعار الحب والسلم[١٨]

وكثير من الشعراء المعاصرين الآخرين[١٩].

المديح في الشعر الكويتي:

باب المدح غالب في شعر شعراء الكويت حاله في ذلك حال المدح في الشعر العربي عامةً ، وكذلك هي دوافعه وأسبابه. فإذا كانت أسباب المدح على ما قاله قدامة بن جعفر (انما هي العقل والشجاعة والعدل والعفة كان القاصد لمدح الرجال بهذه الخصال الاربع مصيباً ، والمادح بغيرها مخطأً) [٢٠]. ولعل قدامة بن جعفر قد نسي الكرم الذي تغنى به شعراء العرب قديمهم وحديثهم، فأصبح لنا خمسة دوافع للمدح في الشعر العربي الذي لم يتجاوزه المدح في الشعر الكويتي إلى غيرها بوجه عام.

فلو أخذنا شاعر الكويت الأول السيد عبد الجليل الطباطبائي (ت١٢٧٠هـ) وفحصنا ديوانه المطبوع الذي جمعه نجله السيد ياسين وسماه (روض الخل والخليل ديوان السيد عبد الجليل) لوجدنا غالب شعره في المدح . يقول الدكتور مشاري عبد الله السجاري في كتابه (الشعر الحديث في الكويت الى سنة

١٩٥٠م) والذي خصصه لدراسة الشعر الكويتي منذ نشأته على يد الطباطبائي حتى منتصف القرن العشرين (والناظر في ديوان السيد عبد الجليل يلاحظ غلبة المديح على شعره، وقصائده مع كثرتها ليس فيها كثير من التنوع)[٢١].

وعلى هذا النهج سار اكثر شعراء الكويت بعد الطبطبائي فشاعر الكويت الشهير فهد العسكر على الرغم من انه احرق اغلب شعره الذي ضمه ديوانه الا أن ما وصلنا من شعره يؤكد أنه سائر على هذا النهج مكثر من فن المديح في شعره.

يذكر الدكتور ابراهيم عبد الرحمن محمد في دراسة نقدية لشعر العسكر المتوفر بين ايدينا أن الشاعر بدأ حياته الشعرية (بقصيدة طويلة يمدح بها الملك السعودي ويعلي من شأنه)[٢٢]، وذلك لغرض الحصول على وظيفة في البلاط الملكي ولما لم ينل مراده في هذه المحاولة استمر في نهج المدح التكسبي بالشعر. (فهي محاولة على كل حال تكررت من الشاعر في مناسبات اخرى ولدى جهات مختلفة)[٢٣].

وقد أشارت الدكتورة عواطف العذبي الصباح في دراستها عن الشعر في الكويت وهي تقيم فنية شعر المديح في ديوان الشاعر الكويتي عبد الله الفرج الى غلبة المديح على شعره تقول : (ويغلب المديح كما قلنا على ما حفظه ديوانه من الشعر)[٢٤].

ويتبين لنا من هذه النصوص الثلاثة والتي عرضت لها مما ذكره الباحثون في الشعر الكويتي وجعلتها متفاوتة في حقبها الزمنية ما بين الطبطبائي والشبيب والفرج وكذلك في مستواها الفني ،ان باب المديح كان بابا غالبا في الشعر الكويتي جديد النشأة والتشكل .

ولعل من المفيد هنا أن نعرض لبعض النماذج التي أوردها صاحب كتاب تاريخ الكويت الشيخ عبد العزيز الرشيد وقد اورد عشرات القصائد والمقطعات في كتابه هذا اغلبها في المدح اكتفي ان اشير في هذه الاسطر الى ثلاث منها على وجه التمثيل لا الحصر :

الأولى : للشيخ يوسف بن عيسى الجنابي يمدح فيها عائلة كويتية مشهور لها صلات واملاك كبيرة مع البصرة هي عائلة آل خالد الخضير بعد اعمارهم مسجد آل يعقوب أو آل خالد في الكويت يقول :

لو قيل من هم في الكويت أولى المكارم والمحامد
الطيبــون المحســنون على المــدارس والمســاجد
الراحمــون الثابتــون على المبــادئ والمقـاصـد
لأجبتــهم هــذي الخــلال تجمعت في آل خالـد [٢٥]

الثانية : لشاعر الكويت صقر الشبيب وهي قصيدة طويلة يمدح فيها السيد طالب باشا النقيب عندما زار الكويت سنة ١٣٤٣ بعد رجوعه من منفاه الاخير :

ما في العراق لشمس فضلك منكر — أنى وقد سمقت تنير فتبهر
شمس لها من ذي المعالي (طالب) — شرف فليست عن سواه تصدر
أما الكويت فإنها قد أصبحت — بحلولك السامي بها تتبختر
لما رجعت الى العراق مسلما — مما عليك من السياسة يحذر
وهل العراق الرحب الا غابة — من(طالب)فيها الشجاع غضنفر
(يا طالب) العلياء نلت من العلى — مالم ينل شرواه نجم أزهر[٢٦]

والثالثة : لشاعر جاء بعد هذين الشاعرين ويعد شاباً عنهما ومن مدرسة جديدة عليهما هو عبد اللطيف بن ابراهيم آل النصف يمدح فيها السيد طالب باشا النقيب ايضاً وقد حرصت عى ايرادها مع سابقتها لكي نستطيع ان نقارب بين نصين شعرين للشاعرين مختفين ينتمي كل منهما الى زمن وان كان متقارباً جداً الى انه شكل في الكويت مدرستين منفصلتين، وكلا النصين في ممدوح واحد ، يقول فيها وهي قصيدة طويلة ايضا :

هنيئاً لبلدان العراق وثغره — وسكان نهريه وسفح نخيله
فمرحى لرب الجود والمجد والحجى — ومن يرتوي العافون من سلسبيله
أتى (طالب) والسعد يقدم خطوة — وشخص الاماني واقف في سبيله
مضى ولواء الفخر يخفق فوقه — وآب به رغم العدا لطوله
لقد أخذو لا واهي العزم ضائراً — ولا مستكينا قانتا بعويله
ولكن مقدماً اذا الاسد احجمت — ضروباً اذا جد الوغى بصليه [٢٧]

ولعلنا نميز جيداً مدى التقارب الفني والشكلي بين النصين السابقين والذي طبع فيه أغلب شعر المدح في الكويت وسنوضح ذلك على نحو مفصل في مطلب لاحق من البحث .

المدائح النبوية في الشعر الكويتي :

على الرغم من غلبة المديح في الشعرالكويتي إلا أن نصوص الشعر التي وصلتنا لم تكن هي كل الشعر الكويتي المنتج في هذه المدة الزمنية لا سيما في موضوع المديح النبوي وذلك لأسباب مختلفة منها خاصة مثلما حدث مع الشاعر صقر الشبيب الذي احرق ديوان شعره بعدما اجبرته ظروفه الاجتماعية

والمعيشية على الانعزال وقطع الصلة بالعالم الخارجي في غرفةٍ رثةٍ كئيبةٍ مظلمةٍ كردة فعل على هذا الواقع، وأن ما وصلنا من بعض شعره كان عن طريق من كتب عن هذا الشاعر مما حفظه او احتفظ به مكتوبا من اصدقائه، أو من ألف عنه مثل الاستاذ عبد الله زكريا الأنصاي الذي ألف كتاباً عن حياة الشاعر وشعره (وكان صديقاً قريباً إلى قلب الشاعر ونفسه مما مهد له أن يلقاه ويسمع منه وأن يحفظ بعض اشعاره)[٢٨]، وكذلك ممن كتب عن الكويت وتاريخها وادبها مثل الشيخ عبد العزيز الرشيد والأستاذ احمد الشرباطي في كتابه (ايام من الكويت) وآخرون.[٢٩]

ومن الأسباب الخاصة ايضاً عدم اهتمام بعض الشعراء الكويت بجمع قصائدهم في دواوين شعرية مما يؤدي إلى ضياعها أو ضياع بعضها مثل ما حصل للشيخ يوسف القناعي الذي لا نجد من شعره إلا الشذرات التي نقلها الرشيد في كتابه تاريخ الكويت[٣٠] .

وهناك أسباب أخرى عامة كعدم تمكن الجيل الأول من شعراء الكويت من طباعة مؤلفاتهم الشعرية وغيرها لعدم وجود الطباعة الحديثة في الكويت آن ذاك وعدم مقدرة الشعراء في الاجيال اللاحقة من النشر بسبب الفقر الذي كان يعاني منه المجتمع الكويتي قبل النفط ولا سيما طبقة المثقفين والكتاب ومن استطاع منهم النشر بعد ذلك نشر في بغداد التي كانت تعد اقرب مكان للطباعة والنشر عن الكويت في ذلك الزمن ولا يخفى ما بين بغداد والكويت من بعد لا سيما قبل توفر المواصلات الحديثة .

ولذلك ما تحصل بين ايدينا من القصائد في المديح النبوي ليست كثيرة لكنها كافية لإعطائنا صورة واضحة عما كان عليه هذا اللون من الشعر في الكويت خصوصا اذا عرفنا ان الشعر في تلك الحقبة كان متقارباً في الشكل والمضمون والقيمة الفنية وسيتبين لنا ذلك واضحاً عند مناقشة عدد من هذه النصوص. ولا بد قبل ذلك أن أقدم عرضاً عاماً لقصائد المديح النبوي التي تحصلت لدي :

أولاً : قصائد الطبطبائي:

١. قصيدة دالية طويلة جداً تقع في (١٨٢) بيتاً من البحر البسيط كان جسدها العضوي تقليداً للقصيدة العربية القديمة ابتدأها بذكر الحمى والديار والحنين أليها من الشاعر المفارق لها منذ زمن ثم تقسمت القصيدة الى المجموعات من الابيات كل مجموعة تتحدث عن جزئية معينة تدور كلها حول النبي صلى الله عليه وسلم منها لخلقه وخلقه ومنها لمعجزاته وأخرى لإسرائه ومعراجه إلى غير ذلك على قرار البديعات الكثيرة المعروفة في تاريخ المديح النبوي فيما قامت عليه من اركان عرفتها البديعيات(البحر والقافية الواحدة وإن كانت دالية لا ميمية والطول والمحسنات البديعية).

مطلع هذه القصيدة وبعض ابياتها الاولى جاء على نحو الآتي:

لذكر الحمى يشتد بالوامق الوجد فقل لي متى يبدو لـــي العلم الفرد
احـــــن الى بان اللوى وطويلع ومن بان عن معناه حق له الوجد
منازل كان الشمل مجتمعاً بها ولم تـــك أيـــدي البـين للحي تمتد

ثم قال فيها عن النبي صلى الله عليه وسلم :

هو الصفوة المختار من عنصر الروى ومن هو ســـر الكون والجوهر الفرد
هو العاقـــب الماحي الضلال بهديه هو الطاهر الأتقى هو الطالع السعد
هو العـــــروة الوثقـــى لمستمسك بها هو الكشاف الغـــماء والكرب مشتد [٣١]

٢. قصيدة دالية ايضاً تقع في احد عشر بيتا من البحر الكامل هي تقريظ قدمه الطبطبائي لقصيدة دالية اخرى في مدح النبي صلى الله عليه وسلم عرضت عليه لأحد اصدقائه جاء ذكرها في ديوانه المجموع بعد وفاته. اعرض هنا مطلعها وبعض ابياتها :

أزهر من الروض المدبج قد بدا وهل هذه الزهـــر الجـــواري للاهتدا
أم النظم من ينبوع ندب مهذب تجلبب أبـــراد البلاغة وارتدى
تضمن مدح الهاشـــمي محمد منار الهدى من جاء للرسل سيدا
فيا حبـــذا نظماً تحلى بمدحه لسر وجود الكون شمس سما الهدا
عليه شذا مســـك الصلاة تحية وآل واصـــحاب اولى الفضل والجدا [٣٢]

ومما تجدر الإشارة إليه ما ذكرته الدكتورة عواطف العذبي الصباح في تعليلها لاتجاه الشاعر عبد الله الفرج الى المديح النبوي والاتجاه الديني في شعره بقولها : (الطبطبائي رائد حركة الإحياء الشعري واستاذ عبد الله الفرج كان يكثر من الحديث عن الرسول وصحابته فيما يقول من الشعر) [٣٣].

لكننا لم نجد في ديوانه الذي جمعه نجله إلا هاتين القصيدتين السابقتين وهذا مما يؤكد ما ذهبنا إليه من أسباب أدت إلى عدم وصول كل ما انتج في هذا اللون الينا وضياع بعضه لعدم جمع الشاعر له في حياته.

ثانيا: قصيدة عبدالله الفـــرج:

(وهي قصيدة طويلة لم تصل الينا كاملة، وإنما نشر منها خالد الفرج في مجلة الكويت ما يبلغ تسعة وثلاثين بيتاً) فقط [٣٤]. وهي قصيدة بائية من البحر الطويل، حاول فيها الشاعر أن يفلت من قيود اركان المدائح الاخرى التي طبعت بها. يقول في ابيات منها :

نبي زكى صادق ومصدق وفي صفي مستطاب مؤدب
ترفع من أصل رفيع وعنصر كريم إليه الفخر يعزي وينسب
هو المفرد الأكسير والجوهر الذي بأسراره الأمثال والوصف يضرب
هو النقطة الغراء والعلة التي (إذا تقلبت) الآراء لا تتقلب
لقد سبقت فيه مشيئة ربه وقد غلبت ان المشيئة تغلب [٣٥]

ثالثاً: قصائد النوري :

١- قصيدة رائية طويلة القيت في مسجد المديرس في ذكرى المولد النبوي، وكان الناس في ضائقة شديدة من الحاجة وسوء المعيشة، فلا رز ولا تمر ولا بر، وكان اكل الناس خبز الشعير، يقول فيها:

فمولد المصطفى عيد لأمته تحيي به ذكره اعظم به ذكرى
لأن مولده نور ومنشأه رشد ومبعثه للفوز بالأخرى
بمبعث المصطفى انقاذ أمته من فرقة شتت آرآهم دهرا
فوحد الدين اذ كانو به نحلا يدعون لا مالكا نفعا ولا ضرا
ذا عابد شجرا هذا دعا حجرا ذا ربه صنم هذا دعا بدرا
فصير العرب منهم امة حكمت شرقا وغربا وسادت اهلها دهرا
فالمسلمون علوا ومتد ملكهم لما أطاعوا لهذا المصطفى أمرا
لو أن أمتهم ساروا على سنن قد سنه لهم لم يشتكوا فقرا
لكنهم نهجوا في غير منهجه ضلو فلم ينصروا شمسا ولا بدرا

ويختمها بقوله :

ياليل مولد خير الخلق عدت لنا يا عالم السر والنجوى بنا ادرى
فأبدل العسر يسرا والضنى دعة وضيقنا سعة ضراءنا سرا [٣٦]

٢- قصيدة رائية اخرى ايضاً يقول عنها الباحث السجاري (وإذا مدح صدر في مدحه عن عاطفة دينية) (٣٧) : يقول فيها :

سطر المدح عقوداً واهداها لمقام المصطفى خير بشر
كل مدح لم يكن فيه فذا لاولي التقوى بمعناه نظر [٣٨]

٣- قصيدة تائية من الشعر الصوفي ظاهرها التغزل بمعشوق له صفات محببة عند الشاعر لكن حقيقتها مدح النبي صلى الله عليه وسلم وهذا ديدن الشعراء الذين اتخذوا المدح وسيلة للتغني برسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيها :

بدا لي وجــها كالشمس من خلف غيـمات
فما أحلى لقـاها لــو أمنا من رقا بـات
لها جيد له حســن يفوق الحسن مـرات
وعين من مــها نجد لها لاشك مـهداة
وقوسا حاجــبيها لها كم من جراحـات
وورد الـروض أهدته لخديها الجنـينات
وفي مبســمها الجلنار صافي اقحــوانات
وكم منــكم ينعم منها بعض اوقاتي
وخير الوقت مايمضي به معها سويعات
وما قــولي ذا فيها زخاريــف مقالات [٣٩]

٤- قصيدة عينية جميلة تحمل نغم الانشاد الدين وعاطفة قلبية صادقة المشاعر ، ألقاها احد تلاميذ المعهد الديني في ذكرى هجرة النبي صلى الله عليه وسلم سنة ١٩٤١م ويقول فيها:

فــرح عـم أهالي يثرب هل ثــم داعي
وبـدا البشــر علـى أهل قبا اشــرف قاعي
وسرور شــاع في أهل وهـاد وتلاع
وهناك الإنــس والا فراح كانــت كالمشاع
والجواري ضــربت بالدف من غير انقطاع
كن ينــشدن نشيدا مطرباً عــذب السماع
(طلع البدر علينا من ثنــيات الوداع
وجب الشــكر علينا جئت بالأمر المطاع) [٤٠]

وقد ذكرت هذه القصائد على سبيل الوصف ولم اقصد هنا الى تحليلها فنياً لأن ذلك سيكون في مطلب لاحق إن شاء الله تعالى.

شعراء المدائح النبوية في الكويت :

كان لابد من التعريف بشعراء المديح النبوي في الكويت لأسباب مهمة :

الاول : معرفة الخلفية الثقافية للشاعر والإحاطة بالواقع الذي نشأت فيه القصيدة وصدرت عنه.

الثاني: التعريف بمن كان له مشاركة في هذا المضمار لكن نصوصه لم تصلنا أو تتحصل بين أيدينا لأسباب مختلفة ذكرتها سابقا.

الثالث: التأكيد على أن هؤلاء الشعراء الثلاثة السابقون أو هذه القصائد السابقة لم تكن هي وحدها من مثلت المديح النبوي في الكويت ورسمت ملامح هذا الفن في هذا البلد، وإنما هناك شعراء آخرون لهم قصائد في هذا المضمار لم تصل إلينا.

١. الطبـــطائـــي:

هو عبد الجليل بن ياسين بن ابراهيم الطبطبائي الحسني البصري ، ولد في البصرةعام ١٧٧٦م وفيها نشأ ودرس على أكابر علماء عصره واجيز برواية كل علوم ومرويات عالم الاحساء الكبير ابن فيروز العالم الفقيه المحدث وقد ترحل الطباطبائي بين الزيارة في قطر والبحرين والاحساء والكويت واستقر فيها وولي قضاءها وتوفي في البصرة عام [٤١].

تقول الدكتورة عواطف العذبي الصباح عنه بعد ان توسعت في الحديث عنه في كتابها الشعر الكويتي الحديث: (ان اهتمامنا به يعود الى اعتبارات فنية تتصل من أنه كان رائد النهضة الثقافية في الكويت فقد كان قطب حركة دينية واسعة وترك اثراً بارزاً في كثير من الشعراء والكتاب الكويتيين)[٤٢].

ويجمع كل الباحثين في تاريخ الحركة الفكرية والادبية على أن هذا الرجل الذي جاء من العراق هو مؤسس هذه الحركة وله الأثر الأكبر في انماء وتحريك النشاط الشعري والادبي في هذا البلد الناشئ [٤٣].

٢- عبد الله الفـــرج:

هو عبد الله بن محمد بن فرج المنديلي ويقال له الصراف من عشيرة المسعرة من الدواسر، شاعر موسيقي ولد في الكويت عام١٨٣٦، نشأ في الهند، ومهر في الموسيقى ووضع الحاناً تداولها عازفوا الكويت، عرفت بالحان الخليج الفارسي له ديوان من الشعر الفصيح ..وقد ادخل على الشعر النبطي كثيراً من التجديد إذ اقتبس اوزاناً من الشعر الهندي ووظفها في الشعر وهو من تلاميذ السيد عبد الجليل الطباطبائي والمتأثر به في موضوعاته الشعرية وخاصة المدح. كما تشير إلى ذلك الدكتورة عواطف العذبي الصباح، واضافت الصباح ان للشاعر اهتمام بالفن والموسيقا والغناء[٤٤].

٣- القـــناعي :

هو يوسف بن عيسى القناعي عالم تربوي ولد في الكويت عام ١٨٧٨م وتلقى علومه فيها وفي الاحساء ومكة المكرمة على يد كبراء العلماء في تلك البلاد، وقد عكف على دراسة الفقه الاسلامي والعلوم الدينية فبرز فيها. وكان من المؤسسين لمدرسة المباركية وهي أول مدرسة نظامية في الكويت . وقد تطوع للعمل فيها مدرساً وناظراً، كما اسهم في تأسيس المدرسة الأحمدية وعمل في القضاء مرات عدة ولمدد مختلفة، وقد انتخب نائباً لرئيس أول مجلس شورى سنة ١٩٢١م ، وسنة ١٩٣٨م. ثم عين عضواً في مجلس ادارة البلدية وعضواً في مجلس المعارف الكويتي.

من مؤلفاته:

- المقتطفات : وهي مجموعة ما أختاره اثناء قراءاته للكتب.
- صفحات من تاريخ الكويت
- المذكرة الفقهية للدراسة الابتدائية.

وكان يقول الشعر لأغراض اجتماعية ومشاركة منه في النصح والارشاد، والامور الدينية الاخرى، توفي سنة (١٩٧٣م)[٤٥].

٤- الرشـــيد:

هو عبد العزيز بن احمد الرشيد البداع الكويتي، اصله من قرية صلبوخ بالرياض في نجد اديب، مؤرخ، صحافي، ولد في الكويت عا ١٨٨٣م ونشأ فيها وتنقل بين مدن كثيرة عربية وغير عربية مثل الهند وجاوا في اندنوسيا اصدر مجلة الكويت، ومجلة التوحيد، وكان من مؤسسي اول مدرسة في الكويت وهي المدرسة المباركية، يعد مؤرخ الكويت وعالمها. توفي بجاوة باندونسيا عام ١٩٣٨م.

من مؤلفاته :

- تاريخ الكويت.
- الدلائل البينات في حكم تعلم اللغات.
- تحذير المسلمين من اتباع غير سبيل المؤمنين.
- محاورة اصلاحية جرت بين تلامذة الاحمدية في الكويت.

كما له مساهمات شعرية في مجالات متعددة ذكر قسما منها في كتابه تاريخ الكويت، ونقل بعضها من كتب عنه أو عن تاريخ الحركة الفكرية والادبية في هذا البلد[٤٦].

٥- عبـدالله النـــوري :

هو عبد الله بن محمد النوري ولد في الزبير عام ١٩٠٤م، سكن الكويت واقام فيها عام ١٩٢٣م، تلقى مبادئ القراءة والكتابة على يد والده ثم التحق بمدارس الاحتلال البرطاني في العراق الى ان اتم مرحلة الابتدائية ثم درس في دار المعلمين في بغداد ، عين كاتباً في المحكمة الشرعية ثم رئيساً للكتاب كما عمل مدرساً في المدرسة المباركية وكان من تلاميذه شاعر الكويت فهد العسكر ودرس ايضاً في المدرسة الاحمدية . وشغل منصب مدير الإذاعة الكويتية منذ تأسيسها. وكان يلقي الأحاديث الاذاعية والتلفزيونية على مسامع المجتمع الكويتي في مختلف الموضوعات الدينية والثقافية العامة.

اختاره الشيخ عبد الله الجابر سكرتيرا خاصاً له . وقد أسندت إليه وهو في المحكمة وضيفة التدريس بالمعهد الديني أول نشأته وعين مفتشاً ومرشداً عاماً لأئمة المساجد، وأخيراً انتظم في سلك المحامين وكان من المؤسسين لجمعية المحامين الكويتية ويشارك عن الكويت في اجتماعات اتحاد المحامين العرب له ديوان شعر ومؤلفات عدة في مجالات علمية وثقافية مختلفة[٤٧].

وحينما نذكر هؤلاء الشعراء فقط الذين كان له مشاركة في هذا اللون الشعري لابد أن نشير الى أنه ربما احجم الباقون عن الكتابة في هذا الغرض لعدم اهتمامهم به لان الحقبة كانت حقبة افكار مدينة وقومية متطلعة الى العواصم المتقدمة ولم تكن حقبة اهتمام بالتدين والقضايا الاسلامية فضلاً عن صغر مساحة الكويت وقلة عدد سكانها وقلة المتعلمين فيها مما يعني قلة عدد الشعراء فيها ايضاً .

خصائص شعر المديح النبوي في الكويت:

يمكن للباحث في شعر المديح النبوي في الكويت أن يجد سمات وصمت هذه القصائد وحددت ملامحها، كما شكلت الاطار العام وربما الخاص لها والتي سنجملها فيما يلي:

١- إن أغلب شعر المديح النبوي في الكويت هو شعر تقليدي اخذ الشكل والمضمون من شعر المديح النبوي القديم.

٢- هناك محاولات لهذا الشعر للافلات من نمط القصيدة القديمة للمديح النبوي لكنها لم تفلح في غالبها وظلت محصورة في القوالب السابقة الا ان بعضها كان حظي بعاطفة صادقة جياشة اعطت هذا الشعر روحاً اثرت وتؤثر بالمتلقي حتى يظنه برهة انه شعر من حقبة زمنية اخرى.

٣- لم تكن قصائد المديح النبوي في الكويت طويلةً جدا كما هو الحال مع البديعيات إلا إحدى قصائد الطبطبائي . إذ لم يكن للشعراء هذا النفس الطويل الذي يتطلبه هذا النوع من القصائد، وربما لم يكن المتلقي مستعداً لها او قد تكون هذه القصائد كتبت لمناسبات محصور زمنياً كالاحتفالات بالمولد النبوي

والاحتفالات الاخرى او المسابقات الشعرية مما يتطلب التقيد بزمن محدد لجمهور مباشر يجعل الشاعر مقيداً بعدد من الأبيات.

٤- لم تحتفظ هذه القصائد بقافية الميم بل اجتلبت عدد من قوافي اخرى مثل قافية الدال او الباء او الراء والعين وغيرها. واستطيع الجزم بأن العدول عن قافية الميم كان مقصوداً لأن القصائد جميعها بقافية غير قافية الميم وربما كان هذا جزءً من محاولة كان يظنها الشعراءتجديدا تبتعد بهم عن تقليد القديم .

٥- نظمت هذه القصائد على بحور مختلفة مثل الطويل والكامل وغيرها ولم تلتزم بالبحر البسيط الذي كان معتاداً لنظم قصائد المديح النبوي.

٦- اختلاف الغرض الذي من اجله نظمت هذه القصائد فقد كانت سابقا تنظم للتغني بالرسول والهيام به وذكر مناقبه لكنها اصبحت في شعر لمديح النبوي في الكويت تنظم للمساهمة في الاحتفالات النبوي او السابقات الشعرية او الانشاد الديني الذي يقدم في الاذاعة الكويتية والتلفاز فيما بعد، هذا بالإضافة إلى الغرض الأول الذي ظل غرضاً ينظم بسببه الشعراء .

٧- اختلاف الإطار العام لمضمون القصيدة، فقصيدة المديح النبوي في الكويت ترتكز على التوجه والإرشاد وتعالج قضايا اجتماعية او سياسية او فكرية وربما نظمت في بعض موضوعات السيرة النبوية ولم تقتصر على التغني بالخصال الخلقية والخلقية .

التقليد والتجديد في شعر المدائح النبوية في الكويت :

لم يحتفل شعر المديح النبوي في الكويت بكثير من الابداع والتجديد في المجال الفني لاسيما على المستوى المضمون بل كان في كثير من الاحيان يتمحور حول قصيدت المديح القديمة ويدور في فكها ويردد صورها والفاظها .

فإذا اخذنا رائد الشعر الكويتي الاول السيد عبد الجليل الطبطبائي في قصيدته الدالية الطويلة التي جعلها في (١٨٢)بيتاً من البسيط سنجد ان جسد القصيدة العام لا يختلف عن قصيدة المديح في القرون السابقة حتى البوصيري فالقصيدة تبدأ بذكر الاطلال والحنين والشوق للديار ثم ينتقل الى التشبب والغزل وذكر الشراب والندمى وبعد ذلك الى ابيات في الندم والنصح والحكمة ثم يأتي بيت حسن التخلص وابيات براعة الاستهلال المعروف في القصائد القديمة الطويلة حتى في العصر الجاهلي وقد استغرق هذا منه(٤٣) بيتاً ثم يدخل في الغرض الاساس وهو المدح وقد اشتمل المدح على جزيئات كثيرة مثل مولده ومبعثه وسيرته ومعجزاته الكثيرة وماله من شفاعة ومنزلة يوم القيامة وصفاته الخلقية والخلقية واسمائه

وغيرها . ثم بعد ذلك رجاء واستعطاف في سياق المدح ثم ثناء وصلاة في سياق المدح ايضاً وقد كان كل ذلك في (١٢٠) بيتاً ويعرج على ذكر الآل والاصحاب والخلفاء ثم ختم بثلاث ابيات.

وقد استطردت في تفصيل القول في جزيئات هذه القصيدة ليتبين لنا تقليدها ووقوفها عند جزيئات القصيدة القديمة [٤٨].

وعند الولوج الى داخل القصيدة يطالعنا مطلعها الذي يقول فيه الشاعر:-

لذكر الحمى يشتد بالوامق الوجد فقل لي متى يبدو لي العلم الفرد[٤٩]

وهذا المطلع يشابه في لفظه ومعناه مطالع قصائد المديح السابقة عليه فمطلع قصيدة البوصيري وهو رائد هذا الفن :

أمن تذكر جيران بذي سلم مزجت دمعاً جرى من مقلة بدم[٥٠]

ومطلع قصيدة صفي الدين الحلي وهو مؤسس فن البديعيات في فن المدائح النبوية .

إن جئت سلعاً فسل عن جيرة العلم واقر السلام على عرب بذي سلم[٥١]

وإنما قصدت الى التمثيل بقصيدتي البوصيري والحلي لأنهما الاساس في هذا الفن وواضعي لبناته الأولى واللذان سار الشعراء على خطاهما في الفن الشعري حتى عصرنا الحديث .

فالطبطبائي يقول (العلم الفرد) والبصيري(بذي سلم) والحلي (جرة العلم) وكلها مقصود بها جبل سلع المشهور في المدينة المنورة والذي حفر عنده الخندق في معركة الاحزاب يكنى به عن الوصول أو السؤال عن المدينة المنورة والروضة النبوية الشريفة التي يتغنى بمدح سكانها صلى الله عليه وسلم شعراء قصائد المديح النبوي[٥٢].

ويستمر هذا التشابه والمحاكة بين القصيدة وسابقتيها في اللفظ والمعنى في عدد كبير من أبياتها، وإن اختلفت القافية عنها والتي حاول الطبطبائي ان يخرج بها عن خط التقليد السائر لقصائد المدائح النبوية في التزامها قافية الميم، فيما أراد أن يوحي بأنه شيء من التجديد والابتكار.

والقصيدة وإن كانت طويلة جداً قاربت المائتا بيت إلا أن الصنعة والتكلف كان واضحاً جلياً فيها إذ كان الشاعر يكرر ألفاضاً بعينها وأشطاراً من أبيات كذلك. ففي مطلع قصيدته يقول:

لذكر الحمى يشتد بالوامق الوجد فقل لي متى يبدو لي العلم الفرد

وفي البيت الذي بعده مباشرة يقول :

أحن الى بان اللوى وطويلع ومن بان عن مغناه حق له الوجد

وبعدها بأبيات يقول:

تناولني كأس التصابي يد الصبا فمـال بأعطافي الصبابة والوجد

وبعدها :

وعوض ايمـــاناً ونـــوراً وحكمة ولـم يـــك للإيلام في شقه وجد

فهو يكرر (الوجد) بيتاً بعد بيت ثم يأتي في خاتمة القصيدة ليقول:

عليك صـــــلاة الله ماحن شيق لذكر الحمى واشتد بالواله الوجد[٥٣]

ونحن نلاحظ صدر بيته الاول في القصيدة :

لذكر الحمى يشتد بالوامق الوجد

وعجز هذا البيت :

لذكر الحمى واشتد بالواله الوجد

إذ يكاد يكون واحداً في اللفظ والمعنى كذلك، وهذا ما يجعلنا نتلمس صنعة القصيدة وبعدها عن الطبع. وهناك كثير من الأمثلة لكلمات أخرى. فلننظر إلى كلمة الجد في الأبيات الآتية :

ودع عنك تسويفاً يفاجـــئ بك الصدى على غرة في حين لا ينفع الجد
له الشرف الذاتـــــي بدءاً كما انتهى الى غاية الجد من دونها الجد
وآدم قد نـــال القـــبول بيـــمنه فأكـرم بمولود به سعد الجد
إذا صـــح للممـــلوك منـــك قبولها فمن فضـل ساداتي به يسعد الجد
اترضى أن تمس النار جسمي وانت لي شـــفيع وذخـــر مســـتعاذ أب جد[٥٤]

وإن كان بعضها بمعنى الشأن وبعضها بمعنى أب الأب الا أن تكرار الفاظها يورد الكلفة والثقل، ويعطي القراء السآمة والآذان الملل.

وكذلك كلمة (مشتد) في الابيات الآتية :

هو العروة الوثـــقى لمستمـــسك بها هو الكاشف الغماء والكرب مشتد
ولم يرفع الشـــكوى الى غيـــر واحد به تدفع البلوى إذا الخطاب مشتد
أليس له بدع الشفاعة في غدٍ وقد صارت الالباب والكرب مشتد[٥٥]

ومثل هذه الكلمات ايضاً (العد)،(السعد)،(الورد)، وغيرها وهذا التكرار وإن لم يكن في أبيات متوالية إلا أنه يضعف من عاطفة القصيدة ويدلنا على ضعف المستوى الفني لها [٥٦].

ولم يقتصر هذا التكرار في الألفاظ والمعاني على هذه القصيدة فحسب وانما شمل قصائد أخرى فالطبطبائي يقول في هذه القصيدة مثلاً :

هوى الصفوة المختار من عنصر الورى ومن هو سر الكون والجوهر الفرد[٥٧]

ويقول في قصيدة اخرى له:

فيا حـــبذا نظـــماً تحـــلى بمـــدحه لسر وجود الكون شمس سما الهدا[٥٨]

فـ (سر الكون، وسر وجود الكون) كلمات مكررة بين القصيدتين.

ويمتد هذا من الشاعر الى غيره من الشعراء فليس بعيداً عن هذا ما قاله تلميذه الشاعر عبد الله الفرج في:

هو المفرد الاكســـير والجوهر الذي بأسراره الأمثال والوصف يضرب

هو النقطة الغـــراء و العلة التي { إذا تقلبت} [٥٩] الآرآء لا تتقلب[٦٠]

فالفرج في هذه الأبيات لم يقف عند التقليد وتكرار اللفظ والمعنى فحسب بل تخطى ذلك الى التركيب ايضا:

فأبيات الطبطبائي متكونة من الآتي:

مبتدأ + خبر + أداة العطف + معطوفات

↓ ↓ ↓ ↓

ضمير +معرف بال+ الواو + معطوفات

↓ ↓ ↓ ↓

هو + الصفوة + و + من هو سر الكون والجوهر الفرد

وأبيات الفرج كذلك:

مبتدأ + خبر + أداة العطف + معطوفات

↓ ↓ ↓ ↓

ضمير +معرف بال+ الواو + معطوفات

↓ ↓ ↓ ↓

هو + المفرد الاكسير+ و + الجوهر الذي .....

إذ يرينا الجدول السابق مدى الإيغال في اعتماد التركيب للبيت الواحد وكأننا أمام معادلة رياضية لا يحيد عن منطوقاتها ليصل في النهاية إلى النتيجة الصحيحة، فضلاً عن محاكاة الألفاظ والمعاني.

وتصم هذه المحاكاة لقصيدة المدح القديمة في شكلها ومضمونها معظم محاولات الطبطبائي وتلميذه الفرج، وقد يكون أحدهما وجها للآخر في مواطن عدة من هذه القصائد كما رأينا في الأمثلة السابقة.

ولا بد أن نذكِر هنا بما اسلفناه من محاولاتهما الإفلات من قيود التقليد إلى الابتكار والتجديد إلا أن ذلك ظل منحصراً في إطار الشكل ليس إلا ، فلم تتجاوز محاولاتهما تغير بحر البسيط إلى بحر آخر أو تغير قافية الميم إلى قافية أخرى كذلك.

وربما كان عبد الله النوري الذي جاء بعدهما أكثر جرأة في الابتعاد عن شواطئ التقليد وضيق الصنعة إلى شيء من جماليات التجديد وفسحة الطبع ومعاصرة الواقع .

فلو تفحصنا قصائده الأربع التي بين أيدينا سنجد فيها عدم التزامه البتة بالقواعد الأربع للبديعيات أو المدائح النبوية السابقة (البحر البسيط – قافية الميم – تضمين موضوعات علم البديع – الطول).

كما لا نجد شكل القصيدة العربية القديمة وبنيتها في افتتاحها بالأطلال والبكاء والتذكر والندمى....الخ ، بل نجد فيها معالجات لمشكلات اجتماعية عصفت بالمجتمع العربي بشكل عام والمجتمع الكويتي كان جزءاً من ذلك المجتمع الكبير وتبعاً لواقعه الأليم ، فهو يقول في إحدى قصائده :

لأن مـــولده نور و منشأه رشـد ومبـعثه للفوز بالأخرى
فمبعث المصطفى إنقاذ امته من فـــرقة شتت آرأهم دهرا
فالمسلمون علو وامتد ملكهم لما أطاعوا لهذا المصطفى أمرا
لو أن أمــته ساروا على سنن قد سنه لهم لم يشتكوا فقرا
لكنهم نهجوا في غير منهجه ضلوا فلم يبصروا شمسا ولا بدرا[٦١]

فهذه الأبيات التي أوردناها ـ على سبيل التمثيل ـ توضح لنا محاولة الشاعر استخدام قصيدة المديح النبوي لمعالجة مشكلات يعيشها مجتمعه الذي تتجاذبه آن ذاك أفكار اليمين واليسار، وأن يضع لها حلولا يقدمها لبني قومه لا أن يبقي غرض القصيدة محصوراً بالمدح والتغني فقط.

ويمكن لقارئ قصائد النوري أن يدرك صدق عاطفتها وجمال موسيقاها فقصيدته الرائية:

سطر المدح عقودا واهداها لمقام المصطفى خير بشر
كل مـدح لم يكن فيه فذا لأولي التقوى بمعناه نظر[٦٢]

تمثل ملمحاً جديداً جامعاً لجزالة اللفظ وجمال الموسيقى وفخامة الشكل. وقد حاول الشاعر أن يظهر معانيه بأساليب لفظية جميلة وقوالب فنية مبتكرة فقصيدته من المجزوء توكد ذلك ، يقول فيها:

بدا لي وجهها كالشمس من خلف غنيمات
فما أحلى لقاها لو أمنا من رقابات[٦٣]

إذ يمتطي الغزل ويعتكز على المجزوء في الوصول الى مراده وهو المديح النبوي فبعد أن تغزل بمفاتن محبوبه وأوصافه توصل إلى غر المدح، يقول:

ولها جيد حسن يفوق الحسن مرات
وعين من مها نجد لها كم من جراحات
وورد الروض اهدته لخديها الجنينات
وفي مبسمها الجلنار صافي اقحوانات[٦٤]

ولا يخفى ما في هذه القصيدة من جمال الموسيقى وأختيار النغم الجميل ، وربما كان ذلك راجع الى تهيأة مثل هذه القصائد للإنشاد والغناء كما هو الحال مع قصيدته التي بناها على أبيات الإنشاد الشهيرة في هجرة النبي صلى الله عليه وسلم:

فرح عم أهالي يثرب هل ثم داعي
وبدا البشر على أهل قبا أشرف قاع
وسرور شاع في أهل وهاد و تلاع

الى أن قال:

طلع البد علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا جئت بالأمر المطاع[٦٥]

وهذه بمجملها محاولات تجديدية لم يشهدها هذا اللون من الشعر في هذا البلد في تلك الحقبة الزمنية من الشعراء الذين سبقوا النوري.

وهي وإن ظلت محاولات مقصورة على بعض المقطعات أو القصائد الشعرية القليلة إلا أنها محاولات جادة تستحق الأشادة ، لاسيما في عصر وسمته الصنعة بطابعها، ومكان أبعده التنآئي في صحراء الجزيرة عن معتركات التلاقح الشعري والتطوير الفني.

وقد يكون لخلفية الشاعر الثقافية وطبيعة دراسته الأولية في مدارسة أكثر حداثة من سابقيه واطلاعه على فنون أخرى مثل المقام والموسيقى ومعرفة بالألحان ذلك الأثر الذي وجدناه في شعره.

كما أتاح عمل الشاعر ـ الشيخ النوري ـ في مجال الإذاعة الكويتية ثم التفاز الكويتي لمدة زمنية ليست باليسيرة مساحة مضافة لأفق تطلعاته وإبداعه في عطائه الشعري ومن ضمنه نبرته واستخداماته في هذه القصائد ، على ما كان يمثله المجال الإذاعي والتلفزيوني من مكان لمعرفة السبق الأدبي والتغيير الإبداعي وحيزاً رحباً للتثقيف وتوسيع المدركات في ذلك الحين.

النتائج والتوصيات:

يمكننا أن نجمل بعض نتائج البحث وتوصياته على النحو الآتي:

النتائج:

١. بقاء قصيدة المديح النبوي في الكويت ـ في الغالب ـ ضمن حيز التقليد لقصائد المديح النبوي المعروفة شكلا ومضمونا.

٢. شهدت قصيدة المديح النبوي في الكويت محاولات التجديد، والإفلات من قيود المدائح النمطية، لكنها انحصرت في التغيير الشكلي في الوزن أو القافية أو البحر الشعري.

٣. لم تكن قصيدة المديح النبوي الكويتية طويلة كما هو الحال مع القصائد المعروفة، وذلك بسبب إمكانية الشاعر الشعرية، أو مراعاة المناسبة ومتطلبات العصر.

٤. لم تتضمن قصيدة المديح النبوي في الكويت على موضوعات علم البديع التي أعتاد شعراء تضمينها في أبيات قصائدهم، وبسببها عرفت بالبديعات.

٥. لايمكننا تسمية هذه القصائد بالبديعيات، لعدم تضمنها للأنواع البديعية المعروفة في فن البديع في البلاغة العربية. وإنما نطلق عليها بقصائد المديح النبوي، لاشتراكها معها في الشكل والمضمون من حيث العموم.

٦. حاولت قصائد المديح النبوي الكويتية معالجة موضوعات اجتماعية، وفكرية، وسياسة لم تعرفها قصائد المديح المعروفة، أو لم تهتم بها.

التوصيات:

١. يوصي البحث بدراسة أثر القصيدة العراقية على قصيدة الكويت، في غرض المديح النبوي وغيره من الأغراض الأخرى، لاسيما مع مدينة البصرة المجاورة للكويت.

٢. دراسة الأنواع الأدبية وتاريخ نشوئها في هذا البلد، مثل القصة ، والحكاية، والرواية، وغيرها.

٣. ربط المؤسسات الأكاديمية، والأدبية العراقية مع نظيراتها الكويتية، للتعاون في إنجاز الموضوعات اللغوية والأدبية المشتركة بين البلدين، وكذلك تبادل المعلومات بين هذه المؤسات المختصة بالموضوعات نفسها.

الهوامش:

١. ينظر: الصحاح تاج اللغةوصحاح العربية، ابو نصر اسماعيل الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار ٤٠٣/١، وينظر: لسان العرب، جمال الدين ابن منظور ،بتعليق: اليلزجي وجماعة من اللغويين ٥٨٩/٢.

٢. الشعر والشعراء في الخليج العربي والجزيرة العربية، عبد الجبار حمد حسين، ٤١.

٣. المصدر نفسه، ٤٠.

٤. سورة الكوثر. الآية ٣.

٥. ينظر: شعراء حول الرسول، أ.د. عبد الله محمد ابو داهش،١١.

٦. صحيح البخاري، باب ذكر الملائكة، ١١٢/٤،رقم الحديث:٣٢١٣، وصحيح مسلم، باب فضائل حسان بن ثابت رضي الله عنه، ١٩٣٣/٤، رقم الحديث:٢٤٨٦.

٧. سيرة ابن هشام ، ابن هشام الانصاري، باب ذكر اسلام مالك بن عوف النصري،٤٩١/٢.

٨. ينظر: المدائح النبوية بين الصرصري والبوصيري، مخيمر صالح،٩٠،٦٣.

٩. الاستيعاب في معرفة الاصحاب،ابن عبد البر القرطبي(ت٤٦٣هـ)، تحقيق:علي محمد البجاوي ٧٤٨/٢ ، وأسد الغابة في معرفة الصحابة،عز الدين ابن الاثير(ت٦٣٠هـ)، ٥٥/٣.

١٠. المدائح النبوية في الأدب العربي، الدكتور زكي مبارك،٢١٥.

١١. ينظر: البديع في البديع، عبد الله ابن المعتز،٤٥ . ونشوة السكران من صهباء تذكار الغزلان، لبي الطيب الحسيني التنوخي، ١١٣. وعلوم البلاغة، للمراغي، ٣١٨. والمدائح النبوية حتى نهاية العصر المملوكي، الدكتور محمود سالم محمد،٥٢٤.

١٢. ينظر: المدائح النبوية في مسيرتها التاريخية، د. أحمد الشحاذ ،٧٤.

١٣. ينظر: المدائح النبوية، زكي مبارك،٤١. وقصيدة البردة للبوصيري . دراسة ادبية، محمد ابو الحسين،٧٣.

١٤. سورة القلم / الآية ٤.

١٥. سورة الفتح/ الآية ٢٩.

١٦. ينظر: مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني، بكري الشيخ امين،٢٦٩، والبديعيات في الأدب العربي، علي أبو زيد،٢٩.

١٧. الشوقيات، امير الشعراء احمد شوقي،٢٥٩/١.

١٨. الوردة العنبرية في سيرة حضرة خير البرية، عبد الكريم محمد المدرس،٤.

١٩. ينظر: تناص الشعر العربي الحديث مع بردة البوصيري، الدكتور محمد فتح الله مصباح، ١٢. ١٣.

٢٠. نقد الشعر، قدامة بن جعفر،٢٠.

٢١. الشعر الحديث في الكويت الى سنة ١٩٥٠، مشاري عبد الله السجاري، ٦٥.

٢٢. فهد العسكر وتيار الوجدان الذاتي، الدكتور ابراهيم عبد الرحمن محمد،٢١.

٢٣. المصدر نفسه ، ٢١.
٢٤. الشعر الكويتي الحديث،عواطف خليفة العذبي الصباح،٥٣.
٢٥. تاريخ الكويت، عبد العزيز الرشيد، تحقيق: يعقوب عبد العزيز الرشيد، ٤٢،
٢٦. المصدر نفسه، ٣٧٨.
٢٧. نفسه، ٣٨٧.
٢٨. فهد العسكر وتيار الوجدان الذاتي،٢٢.
٢٩. تاريخ الكويت،
٣٠. ايام الكويت، احمد الشرباصي،٧٦.
٣١. الخل والخليل ديوان السيد عبد الجليل،١٣٩.١٤٠.
٣٢. المصدر نفسه ٦٠.٦١.
٣٣. الشعر الكويتي الحديث،٨٨.
٣٤. المصدر نفسه،٨٨.
٣٥. نفسه، ٨٨. ٩٨.
٣٦. الشعر الحديث في الكويت،١٠٥. ١٠٦.
٣٧. المصدر نفسه، ١٠٦.
٣٨. نفسه، ١٠٦.
٣٩. نفسه، ١٠٤.
٤٠. نفسه، ١٠٤.
٤١. ينظر: الاعلام،٣/٣٧٦، ومعجم المؤلفين،٥/٨٤.
٤٢. الشعر الكويتي الحديث،٤٥.
٤٣. ينظر: أدباء الكويت بين قرنين، خالد سعود الزيد، ٣٧.
٤٤. الأعلام للزركلي، ٤/١٣٣. وينظر: الشعر الكويتي الحديث، ٨٨، وصفحات من تاريخ الكويت، يوسف بن عيسى القناعي،٥٤. ٥٧.
٤٥. تكملة معجم المؤلفين، محمد خير بن رمضان بن اسماعيل يوسف ، ١/٦٤٣
٤٦. الأعلام، الزركلي، ٤/١٥، وينظر: معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، ٥/٢٤١.
٤٧. ينظر: أعلام الحركة والدعوة الاسلامية المعاصرة، عبد الله سليمان العقيل٤٨١ .
٤٨. روض الخل والخليل ديوان السيد عبد الجليل، الصفحات ١٣٩. ١٥٠.
٤٩. المصدر نفسه، ١٣٩.
٥٠. بردة المديح ، شرف الدين البوصيري، ٦.

٥١. ديوان صفي الدين الحلي، ٦٨٥.
٥٢. ينظر: المغازي، الواقدي(ت٢٠٧هـ)، تحقيق: مارسدن جونس، ٤٤٦/٢.
٥٣. روض الخل والخليل، الصفحات على الترتيب: ١٣٩،١٤٠،١٤٤،١٤٩.
٥٤. المصدر نفسه، الصفحات على الترتيب: ١٤٢،١٤٣،١٤٣، ١٤٩، ١٥٠.
٥٥. نفسه، الصفحات على الترتيب: ١٤٢،١٤٥،١٤٨.
٥٦. نفسه، ١٣٩. ١٥٠.
٥٧. نفسه،١٢٤.
٥٨. نفسه، ٦٠.
٥٩. {إذا تقلبت}اضفت هذه العبارة لاكمال البيت والموجود فيما اوردته الدكتورة الصباح هكذا [؟] من دون عبارة.
٦٠. الشعر الكويتي الحديث،٨٨.
٦١. الشعر الحديث في الكويت،١٠٥.
٦٢. المصدر نفسه،١٠٦.
٦٣. نفسه، ١٠٦.
٦٤. نفسه،١٠٤.
٦٥. نفسه.

المصادر :

. القرآن الكريم

. أسد الغابة في معرفة الصحابة، أبو الحسن ابن الأثير (ت: ٦٣٠هـ)، دار الفكر – بيروت، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م.
. أدباء الكويت بين قرنين، خالد سعود الزيد، ط٣، الكويت ١٩٧٦م.
. أعلام الحركة والدعوة الاسلامية المعاصرة، المستشار عبد الله العقيل، مكتبة المنار الإسلامية ، ط١، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.
. الاستيعاب في معرفة الاصحاب، القرطبي (ت: ٤٦٣هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي
دار الجيل، بيروت ط١، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢م.
. الأعلام، الزركلي، خير الدين الزركلي (ت: ١٣٩٦هـ) دار العلم للملايين، ط١٥، ٢٠٠٢ م.
. أيام الكويت، أحمد الشرباصي، مطابع دار الكتاب العربي بمصر.
. الخل والخليل ديوان السيد عبد الجليل، ط٣، منشورات المكتب الاسلامي بدمشق.
. البديع في البديع ، عبد الله بن المعتز (ت: ٢٩٦هـ)، دار الجيل، ط١ ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م.
. بردة المديح ، شرف الدين البوصيري، من منشورات دار التراث البوديلمي.

. تاريخ الكويت، عبد العزيز الرشيد، تحقيق: يعقوب عبد العزيز الرشيد، منشورات دار ومكتبة الحياة، بيروت . لبنان.
. تكملة معجم المؤلفين، محمد خير بن رمضان بن اسماعيل يوسف ، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت . لبنان، ط١، ١٤١٨هـ . ١٩٩٧م.
. تناص الشعر العربي الحديث مع بردة البوصيري، الدكتور محمد فتح الله مصباح، دار الكتب العلمية.
. ديوان صفي الدين الحلي، دار صادر، بيروت.
. السيرة النبوية، لابن هشام (ت: ٢١٣هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط٢، ١٣٧٥هـ – ١٩٥٥ م.
. الشعر الكويتي الحديث،عواطف خليفة العذبي الصباح، ط: جامعة الكويت /كلية الآداب والتربية، ١٣٩٣. ١٩٧٣.
. الشعر والشعراء في الخليج العربي والجزيرة العربية، عبد الجبار حمد حسين، منشورات جامعة البصرة /مركز دراسات الخليج العربي ، السلسلة الخاصة، ١٩٨٠.
. الشوقيات، امير الشعراء احمد شوقي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة جمهورية مصر العربية.
. شعراء حول الرسول، أ.د. عبد الله محمد ابو داهش، دار عبد الله ابو داهش للبحث العلمي والنشر، ط٢.
. الصحاح تاج اللغةوصحاح العربية، أبو نصر الجوهري (ت: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت ،ط٤، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م.
. صحيح البخاري ، محمد بن إسماعيل البخاري،المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار
. طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط١، ١٤٢٢هـ.
. صحيح مسلم ، مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
. صفحات من تاريخ الكويت، يوسف بن عيسى القناعي، ذات السلاسل للطباعة والنشر والتوزيع، ط٥، ١٤٠٨. ١٩٨٨.
. علوم البلاغة، للمراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (ت: ١٣٧١هـ)، دار الكتب المصرية الكبرى.
. لسان العرب، جمال الدين ابن منظور الأنصاري (ت: ٧١١هـ)، دار صادر – بيروت، ط٣ – ١٤١٤ هـ.
. المدائح النبوية في الأدب العربي، الدكتور زكي مبارك، دار الشعب . القاهرة،١٩٧١.
. معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، دار النهضة– بغداد، ط٣،١٩٩٠.
. المدائح النبوية بين الصرصري والبوصيري، مخيمر صالح، ، دار ومكتبة الهلال،١٩٨٦.
. نشوة السكران من صهباء تذكار الغزلان، أبو الطيب محمد صديق خان البخاري القِنَّوجي (ت:١٣٠٧هـ)، عُني بنشره: محمد عطيه الكتبي، المطبعة الرحمانية بمصر، ط١، ١٣٣٨ هـ – ١٩٢٠ م.

- نقد الشعر، قدامة بن جعفر، ط١، مطبعة الحوائج . قسطنطينية، ١٣٠٢.
- والوردة العنبرية في سيرة حضرة خير البرية، عبد الكريم محمد المدرس، دار الحرية . بغداد، ١٩٩٤.

الدراسات والبحوث :

- الشعر الحديث في الكويت الى سنة ١٩٥٠، مشاري عبد الله السجاري، (رسالة ماجستير)، كلية الآداب . جامعة بغداد، ١٩٧٣م.
- قصيدة البردة للبوصيري . دراسة ادبية، محمد ابو الحسين، (بحث)، مجلة القسم العربي، جامعة بنجاب، لاهور . باكستان، العدد الرابع والعشرون، ٢٠١٧م.
- المدائح النبوية في مسيرتها التاريخية، د. أحمد الشحاذ،(بحث)، مجلة الجامعة الاسلامية، العدد الثامن، لسنة ٢٠٠٠م.
- فهد العسكر وتيار الوجدان الذاتي،(مقال)، للدكتور ابراهيم عبد الرحمن ، مجلة البيان، رابطة الادباء، الكويت، ٦٨٤ / نوفمبر(تشرين الثاني)/ ١٩٧١.